الكرسي الرسولي

البَابَا فرنسيس

المُقَابَلَةُ العَامّةُ

الأربعاء 7 ديسمبر/كانون الأول 2016

قاعة بولس السادس

[Multimedia]

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، صباح الخير!

نبدأ اليوم سلسلة تعاليم جديدة حول موضوع *الرّجاء المسيحيّ*. إنّه مهمّ جدًّا لأنّ الرّجاء لا يخيّب أبدًا. التفاؤل يُخيّب أمّا الرّجاء فلا! ونحن بأمسّ الحاجة إليه في هذه الأزمنة التي تبدو مظلمة والتي نشعر فيها أحيانًا أنّنا ضائعون أمام الشرّ والعنف اللذين يحيطان بنا، وإزاء ألم العديد من إخوتنا. نشعر أنّنا ضائعون وأنّنا قد فقدنا العزيمة بعض الشّيء لأنّنا نجد أنفسنا عاجزين ويبدو لنا أنّ هذا الظّلام لن ينتهي أبدًا.

لكن لا ينبغي أن نسمح للرجاء أن يتركنا، لأن الله بمحبّته يسير معنا. "أنا أرجو لأنّ الله بقربي": هذا القول يمكننا أن نقوله جميعنا؛ يمكن لكلّ فرد منّا أن يقول: "أنا أرجو ولديّ رجاء لأنّ الله يسير معي" يسير معي ويمسكني بيدي. الله لا يتركنا وحدنا والربّ يسوع قد تغلّب على الشرّ وفتح لنا درب الحياة.

لذا، ولاسيّما في زمن المجيء هذا الذي هو زمن الانتظار الذي نستعدّ من خلاله لنقبل مرّة أخرى سرّ التجسّد المعزّي ونور الميلاد، من الأهميّة أن نتأمّل حول الرّجاء. لندع الرب يعلمنا ما معنى أن نرجو. لنصغ إذًا إلى كلمات الكتاب المقدّس بدءًا من *النبيّ أشعيا*، نبي زمن المجيء الكبير ورسول الرّجاء الكبير.

في القسم الثاني من كتابه، يتوجّه أشعيا إلى الشّعب *معلنا التعزية*:

"عَزُّوا عَزُّوا شَعبي – يَقولُ إلهُكم

خاطِبوا قَلبَ أُورَشَليم

ونادوها بأن قد تَمّ تجَنّدُها وكُفِّر إثمُها...

صَوتُ مُنادٍ في البَرّيّة:

أعِدُّوا طَريقَ الرّبّ واجعلوا سُبُلَ إلهنا في الصّحراءِ قَويمة.

كُلُّ وادٍ يَرتَفِع،

وكُلُّ جَبَلٍ وتَلٍّ يَنخَفِض والمُنعَرِجُ يُقَوّم

ووَعرُ الطّريق يَصيرُ سَهلاً

ويَتَجَلّى مَجدُ الرَبِّ

ويُعاينُه كُلُّ بَشَر لأنّ فَمَ الرّبِّ قد تَكَلّم" (أش ٤٠، ١- ٢. ٣- ٥).

إنّ الله الآب يعزّي من خلال إقامة مُعزّين يطلب منهم أن يُشجّعوا الشعب، أبناءه، ويعلنوا لهم أنّ الاضطهاد قد انتهى وأنّ الألم قد انتهى والخطيئة قد غُفرت. هذا ما يشفي القلب البائس والخائف. لذلك يطلب النبيّ أن نُعِدّ طريق الربّ وننفتح على عطاياه وعلى خلاصه.

تبدأ التّعزية، بالنسبة للشّعب، بإمكانيّة السير على درب الله، درب جديدة قويمة وسالكة، درب تُعَدُّ في *الصحراء* فيتمُّ هكذا عبورها للوصول إلى الوطن. لأنّ الشّعب الذي يتوجّه إليه النبيّ كان يعيش مأساة السّبي إلى بابل، ولكنّه يسمع الآن أنّه بإمكانه العودة إلى أرضه من خلال درب جُعلت مريحةً وواسعةً بدون أوديّة وجبال تجعل المسيرة مُتعبة، درب قويمة في الصحراء. إنّ إعداد تلك الطريق يعني إذًا إعداد درب خلاصٍ وتحرُّرٍ من كلّ عائق وعقبة.

لقد شكّل *السّبي* مرحلة مأساويّة من تاريخ إسرائيل، عندما فقد الشعب كلّ شيء. كان الشّعب قد فقدَ الوطن والحريّة والكرامة وحتى الثّقة بالله. لقد كان يشعر بأنّه متروك وبدون رجاء. ولكنّ هوذا نداء النبيّ يفتح مجدّدًا القلب على الإيمان. *الصّحراء* هي مكان يصعب العيش فيه، ولكن هناك بالتّحديد سيصبح السّير ممكنًا من أجل *العودة ليس إلى الوطن وحسب وإنّما إلى الله أيضًا وإلى الرّجاء والابتسامة*. عندما نكون في الظّلام أو في الصّعوبات لا يمكننا أن نبتسم، لكنّ الرّجاء هو الذي يعلّمنا الابتسامة كي نجد الدّرب الذي يقود إلى الله. أحد أوّل الأمور التي تحصل للأشخاص الذين يبتعدون عن الله هو أنّهم يفقدون الابتسامة. ربّما قد يضحكون بشدة، ويكررون الضحك، ويخبرون نُكتةً، ويضحكون مجدّدًا... ولكن تنقصهم الابتسامة! وحده الرّجاء يعطينا الابتسامة: إنّها ابتسامة الرّجاء بلقاء الله.

غالبًا ما تكون الحياة صحراء، ويصعب السّير في داخلها، ولكن إن اتكّلنا على الله يمكنها أن تصبح جميلة وواسعة كالأوتوستراد. يكفي ألاّ نفقد الرّجاء أبدًا، يكفي أن نستمرّ في الإيمان على الدّوام وبالرغم من كلّ شيء. عندما نجد أنفسنا أمام طفل ما، ربّما قد يكون لدينا مشاكل وصعوبات كثيرة ولكن الابتسامة تخرج من داخلنا، لأنّنا نقف أمام الرّجاء: الطّفل هو رجاء! وهكذا ينبغي علينا أن نتعلّم أن نرى في حياتنا مسيرة الرّجاء التي تقودنا إلى اللقاء بالله، الله الذي صار طفلاً لأجلنا، والذي سيجعلنا نبتسم وسيعطينا كلّ شيء.

إنّ كلمات أشعيا هذه يستعملها يوحنّا المعمدان في بشارته التي كانت تدعو إلى الارتداد، وكان يقول: "صَوتُ مُنادٍ في البَرّيّة: أَعِدُّوا طَريقَ الرّبّ واجعَلوا سُبُلَه قويمة" (متى ٣، ٣). إنّه صوت يصرخ حيث يبدو أنّه لا يمكن لأحد سماعه – ولكن من يمكنه أن يسمع في البرّيّة؟ - يصرخ في الضّياع النّاتج عن أزمة الإيمان. لا يمكننا أن ننكر أن عالم اليوم يعيش أزمة إيمان. هناك من يقول "أنا أؤمن بالله وأنا مسيحيّ" – أو "أنا من تلك الدّيانة..." – ولكنّ حياتك بعيدة كلّ البعد عن الله وعن كونك مسيحيّ؛ بعيدة جدًّا عن الله! لقد تحوّل الإيمان والدّين إلى مجرّد عبارة "أنا أؤمن؟ - نعم!" ولكن الأمر يتعلّق هنا بالعودة إلى الله، بارتداد القلب إلى الله والسّير على الدّرب الذي يقودنا للقائه. وهو ينتظرنا. لقد كانت هذه بشارة يوحنّا المعمدان: الاستعداد. استعدوا للقاء هذا الطّفل الذي سيعيد الابتسامة إلينا. عندما أعلن يوحنّا المعمدان عن مجيء يسوع، كان الإسرائيليّون وكأنهم ما يزالون في المنفى لأنّهم كانوا تحت الحكم الرومانيّ الذي يجعلهم غرباء في وطنهم، يحكمهم محتلّون أقوياء يقرّرون مصيرهم. لكنّ التّاريخ الحقيقيّ ليس التّاريخ الذي يصنعه المقتدرون وإنّما الذي *يصنعه الله برفقة صغاره*. التّاريخ الحقيقيّ – ذلك الذي سيبقى إلى الأبد – هو التّاريخ الذي يكتبه *الله مع صغاره*: الله مع مريم، الله مع يسوع، الله مع يوسف، *الله مع الصّغار*. أولئك الصّغار والبسطاء الذين نجدهم حول يسوع الذي يولد: زكريّا وأليصابات، مسنّان طَبَعَهُما العُقم؛ مريم شابّة عذراء مخطوبة ليوسف؛ الرّعاة الذين كانوا مرذولين ولا اعتبار لهم. إنّهم الصّغار الذين أصبحوا عظماء بفضل إيمانهم، الصّغار الذين يعرفون كيف يستمرّون في الرّجاء. إن الرّجاء هو فضيلة *الصّغار*، لأنّ الكبار والمكتفون لا يعرفون الرّجاء؛ لا يعلمون ما هو الرجاء.

إنّ الصِّغار مع الله ومع يسوع، هم الذين يحوّلون صحراء المنفى والوحدة البائسة والألم إلى درب قويمة نسير عليها للذّهاب للقاء مجد الربّ. وهنا نصل للاستنتاج: لنسمح للرّجاء بأن يُعلِّمَنا. لننتظر بثقة مجيء الربّ، وأيّما كانت صحراء حياتنا – لأنّ كلٌ منّا يعرف الصّحراء التي يسير فيها – فستصبح حديقة مُزهرة، لأن الرّجاء لا يُخيّب!

Speaker:

أيها الإخوة والأخوات الأعزاء، نبدأ اليوم سلسلة تعاليم جديدة حول موضوع الرجاء المسيحي، الذي نحن بأمسّ الحاجة إليه في هذه الأزمنة التي تبدو مظلمة والتي نشعر فيها أحيانًا بأننا ضائعين أمام الشرّ والعنف اللذين يحيطان بنا، وإزاء ألم العديد من إخوتنا. لكن لا ينبغي أن نسمح بأن يتركنا الرجاء، لأن الله بمحبّته يسير معنا ولا يتركنا وحدنا والرب يسوع قد تغلّب على الشرّ وفتح لنا درب الحياة. لذا ولاسيما في زمن المجيء هذا، الذي نستعدّ من خلاله لنقبل مرّة أخرى سرّ التجسّد المعزّي ونور الميلاد، من الأهميّة أن نتأمّل حول الرجاء. إن الله الآب يعزّي من خلال إقامة مُعزّين يطلب منهم أن يُشجّعوا الشعب ويعلنوا لهم أن الاضطهاد قد انتهى وأن الألم قد انتهى والخطيئة قد غُفرت. وهذا ما يشفي القلب البائس والخائف. لذلك يطلب النبي أن نُعِدّ طريق الرب وننفتح على عطاياه، عطايا الخلاص. وبالتالي تبدأ التعزية، بالنسبة للشعب، بإمكانيّة السير على درب الله، درب جديدة قويمة وسالكة، وإعداد تلك الطريق يعني إذًا إعداد درب خلاص وتحرُّر من كل عائق وعقبة. غالبًا ما تكون الحياة صحراء ويصعب السير في داخلها، ولكن إن اتكّلنا على الله يمكنها أن تصبح جميلة وواسعة، يكفي ألا نفقد الرجاء أبدًا، يكفي أن نستمرّ في الإيمان على الدوام وبالرغم من كلّ شيء. لنسمح إذًا للرجاء بأن يُعلِّمَنا ولننتظر بثقة مجيء الرب ومهما تكن صحراء حياتنا فستصبح حديقة مُزهرة.

* * * * * *

Santo Padre:

Rivolgo un cordiale benvenuto ai pellegrini di lingua araba, in particolare al gruppo dei sacerdoti iracheni che prestano servizio in Europa! Cari fratelli e sorelle, la speranza è quella virtù cristiana che noi abbiamo in dono dal Signore e che ci fa vedere oltre i problemi, i dolori, le difficoltà, oltre i nostri peccati; e ci permette di ammirare la bellezza di Dio. Non lasciatevi dunque rubare la speranza! Il Signore vi benedica!

* * * * * *

Speaker:

أُرحّبُ بالحجّاج الناطقينَ باللغةِ العربية، وخاصةً بمجموعة الكهنة العراقيين الذين يقومون بخدمتهم الكهنوتيّة في أوروبا. أيها الإخوةُ والأخواتُ الأعزاء، الرجاء هو تلك الفضيلة المسيحيّة التي نلناها كعطيّة من الرب والتي تجعلنا نرى أبعد من المشاكل والآلام والصعوبات، أبعد من خطايانا وتسمح لنا بأن ننظر بإعجاب إلى جمال الله؛ فلا تسمحوا لأحد إذًا بأن يسلبكم الرجاء! ليبارككُم الرب!

****

© جميع الحقوق محفوظة – حاضرة الفاتيكان 2016

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana